

## الحفريات الاميريكية

في بيسان

بقلم حضرة الاب ا. س. سمرجي الدومينيكي

٢

الطبقة السابعة : اضرفس الثالث وما بعده

كان امنوفس الثالث ( ١٤١١-١٣٧٥ ) مؤسس مدينة الطبقة السابعة ، لان اسمه يظهر في احد الجملان ، وفي الحثوم والاحراز الموضوعه في الاساس ، تحت درجات مذبح الهيكل في تلك الطبقة . وهذا الهيكل قد استعمل حتى زمن الملك «حورحبيب» (١٣٥٠-١٣١٥) وشكله كشكل معابد المقابر ، والمعابد في البيوت الحصوية . وكلها من عصر امنوفس الرابع ، خليفة امنوفس الثالث . واحدى الالهات في هيكل امنوفس الثالث كانت ، دون شك ، الالهة «عشريت ذات القرنين» ، لان في المبد الداخلي نصباً يمثلها . وفي غربي هيكل امنوفس الثالث اكتشف على اهم قسم من بناية كبيرة يظهر انها «مجدل كنفاني» او «ذو الاربعة الابراج» واساس بناية ملاصقة يمكن انها كانت محل اقامة رئيس البرج المصري . وهذا المجدل كان مكعباً ، ومدخله من الجهة الغربية . وله برج في كل من طرفي بابه .

وجما قهرم ملاحظته ان في زمن تأسيس الهيكل والمجدل وغيرها من الابنية كان التأثير الاشد وقتاً في بيسان (فضلاً عن المصري) من الطرز الآتي من نواحي بحر ايجي ، وربما من قبرس . ويمتبه النفوذ السوري - الحيثي .

قبل وفاة امنوفس الرابع (١٣٥٨) خرجت فلسطين خروجاً تاماً من حكم المصريين . والسبب المهم ان افراط الملك في اعمال التمدد جعله يهمل اشتغال ملكه . وفي زمن خلفائه ، بقي الامر على ذلك الحال الى عهد سيتي الاول ، مؤسس الطبقة السادسة .

## الطبقة السادسة : عصر سبي الاول

اعاد هذا الملك حكم مصر على فلسطين (١٣١٣-١٢٩٢) في اول سنة من ملكه. وفي اثناء حملته ، بلغ بيسان حيث شيد حصناً وهيكلًا فوق اخربة الطبقة السابعة. واسم المدينة مذكور على تمثال ابي المول في هيكله في كورنة في مصر. وقد اقام الهيكل على محل هيكل امنوفس الثالث. ولا ريب انه خصص لمبادأة ميكال وعشترت ، كما يُستدل من صور كثيرة وجدت هناك. وتاريخ الهيكل والحصن المتصق به يظهر من خرطوشة وجدت هناك وعليها اسم رعسيس الاول ، ابي الملك سيتي . وقد القيت في اساس البناء ، تحت حيطان وارضية الهيكل . وذكر اسم الملك الاب آت من ان الحملة الفلسطينية تمت وقت كان سيتي مالكا مع ابيه رعسيس . وفضلاً عن هذا ، فقد اقام سيتي لذاته نصباً تاريخه اول سنة من ملكه . وفيه يذكر انه قد اخرج الحصن من ايدي المهاجرين من شرقي الاردن. وقد وجد نصب آخر للملك سيتي ، في الطبقة الثانية ؛ وقد استعمل في زمن البيزنطيين كقبة باب .

بالحقيقة تقسم الطبقة السادسة الى قسمين متمايزين : دعي الاول طبقة سبي المتقدمة ؛ والثاني طبقة سبي المتأخرة ووقموا ايضاً في بيسان على نصب كبير لرعسيس الثاني ، تاريخه السنة التاسعة لهذا الملك .

## الطبقة الخامسة : عصر رعسيس الثاني

الظاهر ان هذه الطبقة ، كما لاح الآن ، قد اقيمت على يد رعسيس الثاني (١٢٩٢-١٢٢٥) في السنة التاسعة من ملكه . وهي تحتوي حصناً منيماً وهيكلين : الجنوبي منهما قائم على اخربة هيكل سبي الاول . اما الصور المزدوج الحارجي ، والباب الرسمي الذي على كل من طرفيه برج ، فقد وُجدا في القسم الغربي من الحصن . واما الهيكل الشمالي فقد كان مخصصاً لمبادأة « البملة » لانه وجد فيه نصب لاحد المصريين فيه صورة الالهة الكنمائية الحربية « عنيت » ؛ وامام تاج هذه الالهة يقرأ : « عنيت ملكة السماء ، سيده جميع الالهة » .

وقد بقي هذان الهيكلان مستعملين على التليسل الى زمن الفلسطينيين . ولا زيب انهما مذكوران في العهد القديم . وما يقابل هذين الهيكلين ما نجده في بطبك حيث كان ، على عهد الرومانيين ، هيكلان الواحد بجانب الآخر ، الاول مخصص « لبعل » المحل المدعو « المشتري الهيليوپلي » والثاني لتربيته . وفي هذين الهيكلين وجد كثير من الاغراض الممدة للعبادة . واكتشف على قبور مختلفة في المقبرة الشمالية يظهر في جميعها النفوذ الايجي - الاثاؤولي . مما جاء دليلاً على انه كما كان في عهد الملوك السابقين ، كان في ذلك العهد ، عهد رعميس الثاني ، عملة مستأجرون من انحاء البحر المتوسط ، يشتغلون في الحصن ، بزعامه موظفين مصريين ، الى عهد رعميس الثالث .

الطبقة الرابعة : العصر الرعميسي الطائر ، الفلطيبي ، الاسرائيلي ،

الاسوري ، الشبي ، البابلي الحديث ، الفارسي القديم الخ ...

في اثناء القسم الاول من حقبة الطبقة الرابعة - اي منذ موت رعميس الثاني ، سنة ١٢٢٥ ، الى ملك رعميس الثالث ، الذي كان من السلالة العشرين ، وقد ملك سنة ١١٩٨ - كان للمصريين السلطة المطلقة التامة على بيسان . الا ان بعد هذا التاريخ هجم على مصر اقوام اصلهم ايجيون واثاؤوليون ، وفي جملتهم الفلسطينيون وحلفائهم . بيد ان رعميس الثالث رد هجومهم ، وبعد بضع سنوات احتلوا سورية وفلسطين ، لكنهم كسروا مرة ثانية بقوة الملك . ويحتمل ان يكون ذلك جرى في الجليل . ففي سنة ١١٨٧ يجب ان يتعين مجيء عسكر رعميس الثالث الى بيسان ونصبهم فيها تمثالاً للملكهم .

بعد وفاة رعميس الثالث ، سنة ١١٦٧ ، يظهر ان جيش العملة من البحر المتوسط ، الذين كانوا يشتغلون في بيسان ، منذ عهد امنوفس الثالث والى زمن توختسن الثالث ، قد استولوا هم ذاتهم على الحصن وملكوه ، ثم اختلطوا بالفلسطينيين وغيرهم من التزاة الذين حاربهم باذى الامر .

وتقبور هؤلاء العملة المستأجرين تختلف عن قبور العهد الكنتافي المتوسط . فان الاولى مدورة ، والثانية مكعبة . ونواويس هذه القبور اسطوانية الشكل ،

ولبعضها تقرب في اسفلها او مؤخرها . يحتمل انها كانت لتصرف سيلانات الاجسام .  
نحو سنة ١٠٢٠ كسر الفلسطينيون الاسرائيليين في بيسان ، غربي جبل جليوع ،  
وعرضوا جسد شاول في القلعة . ويظهر ذلك بنوع اجلي في الايام الاول (١٠ : ١٠)  
« وفي الغد اتى الفلسطينيون ليلبوا القتلى ، فوجدوا شاول وبنيه صرعى في جبل  
جليوع . فلبوه واخذوا رأسه وسلاحه وبعثوا يبشرون في ارض الفلسطينيين  
في كل جهة في بيوت اصنامهم وفي الشعب . ووضعوا سلاحه في بيت المهم  
وعلقوا هجيمته في بيت داجون » وجاء في سموئيل الاول (١٠ : ٣١) « ووضعوا  
سلاحه في بيت عشروت وعلقوا جده على سور بيت شان . »

ومن هنا يظهر ان عباد « البعل والبعلتة » كانت بعد جارية في بيت شان ،  
كما كانت على عهد رمسيس الثاني : عباد البعل في الميكل الشمالي « لرشف » ،  
وعباد البعلتة في هيكل « عنتيت » . وهذا يدل على ان كلا الهيكلين كانا  
مستعملين من زمن رمسيس الثاني الى زمن الاسرائيليين ، على اقل تقدير .

الظاهر انه نحو سنة ١٠٠٠ ، على زمن داود الملك ، اخذ الاسرائيليون  
بيسان من الفلسطينيين . ويمكن ان يُنسب اليه هدم هيكل المشترتوت  
وهيكل داجون . نقرأ في سفر الملوك الاول (٤ : ١٢) « وبعنا بن احيلود  
في ثعناك ومجدو وكل بيت شان التي عند صرتان تحت يزريعل من بيت شان  
الى آبل محولة الى ما وراء يُقمام . وكان من واجب بعنا ان يقدم الاطعمة  
لسليان الملك وبيته مدة شهر كل سنة . »

وبعد قسمة ملك الهبريين ، عقب وفاة سليمان ، في زمن خلفه رحبام ،  
هجم شيشونك الاول على فلسطين ، نحو سنة ٩٢٦ ودخلت عساكره مرج  
عزربون وزريعل ونهبوا بيسان وثنناك وشونيم ومجدو الخ .

ومن القرن الثامن الى غزو الشيتيين بقيت فلسطين تحت حكم الاشوريين .  
اما الشيتيون فكانوا قوماً هندياً - اوربياً ، من الشمال الاقصى ، دخلوا آسية  
القرية بين سنة ٦٣٠ و ٦٢٥ ، مجتاحين اشورية وفلسطين الخ الى ان وصلوا  
حدود مصر حيث صدّهم الملك بساتكس الاول . ويقول هيرودوت انهم  
رعبوا آسية القرية مبدية ٢٨ بيته . لكن المدة الاكيدة مجهولة .

في زمن اليونان والرومان كانت بيسان معروفة باسم سيتوبوليس اي مدينة الشيتين . بيد ان النسبة هذه ليست باكيدة .  
 بعد سقوط المملكة الاشورية عبر الملك نينور المصري في فلسطين سنة ٦٠٨ ، وانتصر على يوشيا ، ملك يهوذا ، في مرجع عززلون وواصل طريقه الى القرات ؛ ولربما اجتاز في بيسان او ارسل قوات لاحتلالها . لكن انتصر عليه نبوكدنصر انذي كان ابوه نبولتر أسس المملكة البابلية الحديثة بعد خراب المملكة الاشورية . وتابع نبوكدنصر انتصاراته فوصل الى سورية وفلسطين .  
 على ان المملكة البابلية الحديثة لم تدم زمناً طويلاً ، اذ في سنة ٥٣٨ احتل كورش الفارسي بابل ، وأسس الدولة الفارسية القديمة التي شملت بعد ذلك داخل حدودها سورية وفلسطين .

واضحات هذه الدولة بظهور الاسكندر الكبير الذي درخ بلادها سنة ٣٣٢ . وبموت الاسكندر ، هجم على سورية الداخلية بطلميوس ابن لوكس من مصر ، ثم اضطر الى الانسحاب . لكنه عاد سنة ٣٠٢ واستولى على كل البلاد . وباستيلائه تنتهي الطبقة الرابعة من التل .

### الطبقة الثالثة : العصر اليوناني ، اليهودي ، الروماني

من سنة ٣٠١ الى ١٩٨ ق.م . ظلت فلسطين الامدة قترات قصيرة - تحت حكم البطالسة . ونحو القرن الثالث ق.م . شيد على التل هيكل كبير لم يُكشَف منه باحار الا على الاسس . وربما كان مدخله من جهة الغرب . وشكله كشكل هيكل افروديت في مصر . ولا يعرف الا القليل ، في بيسان ، من زمن اليونان . فاعدا هذا الهيكل ، وجد قبور . ويظن ان اهم المقبورات فيها كان ديونيسيوس واسترات .

سنة ١٩٨ ، خضعت البلاد لحكم الملوك الساوقيين ؛ بعد ان سمي الملك انطيوخس ، ثلاث مرات سابقاً ، في ان يستولي بنوع مستمر على فلسطين فلم يفلح الا سنة ٢١٨ حيث احتل بيسان . ومجربنا يوسفوس المؤرخ اليهودي ، في «عاديته» ان «تريفون» مقتصب ملك سورية مدة حكم دمتريوس الثاني ،

ذهب الى بيسان في جيش ليقاقل يوناتان ، رئيس كهنة اليهود الذي كان تحت امرته ٤٠ الفاً من الرجال . وبجيلة حربية توصل الى قتله . وانتهى حكم السالوقيين في بيسان سنة ١٠٨ ، لما خان ابوقراط القائد ملكه انطيوخس وسلم ، لقاء مقدار من الدراهم ، الموقع وما يجاوره الى يوحنا هرقان الزعيم ورئيس الكهنة الذي استولى على السامرة والبيرة .

وبقيت بيسان بيد اليهود الى حين وصول بيمبيوس سنة ٦٤ حيث ابتداء حكم الرومانيين . وبعد قليل عمرت بيسان في زمن غايينس الوالي الروماني الذي جاء البلاد سنة ٥٧ . واضحت مدينة رومانية حرة . ويقال انها اصبحت اعظم من اورشليم سكاناً وتجارة ، اذ كانت قاعدة المدن المشرقية - ما عدا بيسان - كانت كلها واقعة شرقي الاردن ، ويمكن ان يكون غايينس هو الذي بنى المسرح الكبير . وفي سنة ٦٦ ب م . ارسل نيرون وابسيانوس لجمع ثروة اليهود في فلسطين . وقضت الفرقة الخامسة والفرقة التاسعة فصل الشتاء في بيسان . وبأسف يوسفوس على ان كثيرين من سكان بيسان اليهود انقلبوا على اخوتهم وانجازوا الى جهة الرومان .

دام العصر الروماني الى سنة ٣٣٠ حين اسس قسطنطين الملك بزنطية قاعدة المملكة الرومانية المسيحية . لكن قبل ذلك المهذ كانت المسيحية قد دخلت بيسان . وفيها استشهد كثيرون من المسيحيين في زمن اضطهاد داقبوس (٢٥٠) وديوقليانوس . واول مطران سُفِّ على المدينة كان بتروفيلس الذي حضر المجمع الفلستيني الملتئم سنة ٣١٨ ، وحضر المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ .

### اللقبة الثانية : العصر البرنظلي (الروماني الشرقي المسيحي)

هذه الطبقة بزنطية دامت من ٢٣٠ الى الفتح العربي ٦٣٦ . وقد وجدت فيها بقايا كثيرة من عهد البرنظيين ، منها كنيسة مدورة واقعة في قبة التل . وسور عظيم يحيط كل المدينة . وغير ذلك من العاديات . وبواسطة المُرِّخين القدماء يُعرف انه كان في بيسان كنيسة مار يوحنا ، ومعبد الرسول توما . ومعبد القديس بروكينيوس الشهيد ، وكنيسة قديمة في وسط المدينة ، وكنيسة مار

باسيليوس . وكانت بيسان الكرسي المتروبوليتي لفلسطين الثانية ( اي الجليل والبيرة ) وبقيت هكذا الى زمن الصليبيين حيث نقل الكرسي الى الناصرة .

### الطبقة الاولى : العصر العربي ، الصليبي ، الخ

هذه الطبقة دامت من ٦٣٦ الى نحو القرن التاسع عشر . وهي الحقة التي بنيت فيها الابنية الاخيرة على التل وقد اخذت الحجارة المستعملة فيها من الابنية القديمة . ونقلت المدافن من المقبرة العظمى الى غير اماكن . عند الفتح الاسلامي اتخذ البزنطيون بيسان موطأ لحشد الساكن ، قصد وقاية فلسطين الثانية من هجوم الفراء . بيد ان العرب هاجروا البزنطيين في السهل المنخر بالمتنفسات ، بين بيسان والاردن . لكن بيسان لم تسقط الا السنة التالية ( ٦٣٦ ) وما استولى عليها المسلمون نهائياً الا بعد واقعة اليرموك . وكان فاتحها شرحبيل ، فاتح طبرية وعكا وصور ، ومونس جند الاردن . ويذكر المتدسي ، في القرن العاشر ، بيسان ، مادحاً منخلها ، قادحاً في مائها . ويقول ان جامها واقع في المساحة حيث يبلي فيه المسلمون الاتقياء . في عهد الصليبيين ، نقل لقب المطرنية من سيتوپليس اي بيسان الى الناصرة . لكن المدينة وضواحيها اضحت « بارونية بيسان » وكان اول سادتها آدم دي بيتون . شيد معقله على موقع المدينة القديمة في تل الحصن . وفي سنة ١١٨٢ استولى عليها جنود صلاح الدين ونهبوها واحرقوا ما فيها . لكنها عمرت بعد ذلك ، وكان حاكماً عليها عز الدين سمح . وزارها ياقوت الحموي سنة ١٢٢٥ ، فقال انها مدينة من مدن الاردن في النور ، تدعى لان الارض . وعدة مرات اقام الملك بيبرس في بيسان معسكره ، حين كان يحارب الفرنج والمغول .

ومنذ القرن الرابع عشر سقطت بيسان في حالة الخمول ، ولم يعد لها ذكر في التاريخ . اما في هذا العصر فبفضل السكة الحديدية بين دمشق وحيفا ، تحسنت احوالها ، وهي على الحال التي ذكرناها في بدء المقال .